المقياس: ابستيمولوجيا علوم الإعلام و الاتصال

السداسي الثاني:السنة اولى ماستر اتصال و علاقات عامة

أزمة العلوم الإنسانية :

لا شك انه من المهام الرئيسية لأي ابستيمولوجيا و التي تعني فلسفة العلم هي حل المشاكل المختلفة التي تعرض لها العلوم المختلفة في خوض غمار المراحل الثلاثة الخاصة بتقدم العلم و تطوره و هي:

المرحلة الوصفية : التي تجيب على سؤال : كيف تحدث الظاهرة.

المرحلة التفسيرية : التي تجيب على سؤال : لماذا تحدث الظاهرة.

المرحلة التنبؤية : هي الغاية النهائية المأمولة من العلوم و هي تشكل معلم نجاح التفسير.

فإذا كان الوصف هو معيار وجود العلم أو عدم وجوده؛ أي معيار إمكانيته فان التفسير هو معيار التقدم العلمي إذ يمكن أن تقاس درجة تقدم العلم بمدى توغله في المرحلة التفسيرية و مدى نجاحه فيها أو درجة دقة هذا النجاح .

فإذا ما عقدنا مقارنة بين تقدم العلوم الطبيعية و تقدم العلوم الانسانية في خوض غمار هذه المراحل الثلاث نجد ان العلوم الطبيعية نجحت في اجتياز كل هذه المراحل أما العلوم الإنسانية نجدها ربما نجحت في اجتياز المرحلة الوصفية ففي القرن العشرين نجد أن العلوم الإنسانية قطعت أشواطا لا باس بها و بذلت جهودا مضنية و ناجحة في تحديد موضوعاتها و تعريف ظواهرها و صياغة مفاهيمها و مصلحاتها كما أرست كل مناهجها و أساليبها الإجرائية كالتحليلات الرياضية ، المناهج الإحصائية ، القياسات العددية و الوسائل الامبريقية و التجارب الميدانية مع استعمال تقنيات البحث العلمي : العينة و الاستبيان ،

المقابلة ، إلا أنها في حقيقة الامر عجزت عن تحقيق ما احرزته العلوم الطبيعية من تقدم فلم تكن بعد الى حد الان نسق متكامل من القوانين التفسيرية في أي مجال من مجالات العلوم الانسانية يماثل من حيث القوة المنطقية انساق القوانين التفسيرية في اقل فروع العلوم الطبيعية حظوة من التقدم . و هذا التخلف النسبي هو اساس ما يعرف بمشكلة العلوم الانسانية و قد بلغ الوعي بهذا التخلف حدا جعل الفكر الأوروبي آنذاك يسوءه ما يعرف بأزمة العلوم الإنسانية .

ففي القرن العشرين تفجرت فيه الطاقة التقدمية للعلوم الطبيعية و فاقت كل معدلات التقدم العلمي المعهودة بحيث :

التفاعلات الذرية لانفجار القنبلة الهيدروجينية .

وسائل المواصلات و الاتصالات التي قهرت الزمان و المكان حتى غزو الفضاء.

ثورة الهندسة الطبية .

ثورة الهندسة الوراثية .....الخ العديد من الأمثلة يمكن إدراجها هنا.

و استطاعت وفق هذا العلوم الطبيعية ان تتجاوز مرحلة العلم الكلاسيكي فبفضل الثورة النسبية و الثورة الكمومية –فزياء الكم– الكوانتم– / /أصبح لدينا حدا فاصلا بين الابستيمولوجيا العلمية و الكلاسيكية و التي تبني الفلسفة الحتمية في تفسيرها لمختلف الظواهر و مبدأ الحتمية هو نظام شامل لا تخلف فيه و لا مصادفة و لا استثناء و لا احتمال فكل حدث لا بد ان يحدث و من الضرورة ان يحدث و يستحيل ان لا يحدث فثمة قوانين ميكانيكية يقينية دقيقة دقة رياضية .

و الابستيمولوجيا الحديثة و المعاصرة و التي ساعدت على ظهور الخاصة و المنطقية للعلوم الطبيعية و تساوقها المنهجي و هي التي تبني فلسفة النسبية و الكمومية و تتكرت تماما لفكرة الحتمية الميكانيكية .

اما فيما يخص العلوم الانسانية التي ظهرت في القرن العشرين ظهرت و كأنها شقت لنفسها طريق العلم و قطعت شوطا منه إلا أنها فشلت فشلا ذريعا في اللحاق بالركب العلمي للعلوم الطبيعية لأنها وقفت بتفكيرها عند مرحلة العلم الكلاسيكي الحتمي و عجزت عن استيعاب ثورتي الكوانتم و النسبية أي الابستمولوجيا العلمية المعاصرة.

فكل النظريات العلمية الكبرى التي حاولت ان تفسر الظواهر الاجتماعية بقيت متمسكة بشدة بالتفسير الحتمي كالسلوكية ، الوضعية ، الوظيفية ، البنيوية و لم تستطع ان تستوعب فلسفة العلم المعاصرة و اعطت الولاء الكامل للمنطق التجريبي بالارتكاز على الابستمولوجيا الكلاسيكية للعلم الميكانيكي.

و بالتالي نقول انه مهما كثر الحديث عن مشكلة العلوم الانسانية و ارجاعها الى مجموعة من العوامل المرتبطة بالفروقات الموجودة بين الإنسان و المادة و كذلك بالخصائص التي تتميز بها الظاهرة الإنسانية :

-وجود عامل الحرية الإنسانية و الوعي.

-تفرد الظاهرة الاجتماعية و عدم القدرة على استرجاعها.

-صعوبة التعميم.

-صعوبة صياغة القوانين الدقيقة.

إلا أن السبب الرئيسي وراء التخلف النسبي للعلوم الانسانية نرجعه الى تعثر مرحلتها التفسيرية و افتقارها للتقنين المنطقي الدقيق و ذلك بسبب تمسكها بالروح العلمية الكلاسيكية

التي تبني الفلسفة الحتمية الميكانيكية و التي جعلتها غير قادرة على استيعاب الروح العلمية الحديثة الخاصة بالقرن الواحد و العشرون .

و قد ظهرت بعض المحاولات الجريئة لتجاوز هذا المشكل الوضع تمثلت في محاولة و موقف الفينومينولوجيا الظاهراتية الذين ابتعدوا عن الافتراضات الحتمية التي تصور الانسان على انه اسير الظروف الوراثية و الاجتماعية التي تحدد سلوكه و ما سيفعله سعيا وراء نظرة اخرى تؤكد حرية الانسان و قدرته على خلق و تشكيل عالمه.

مجالات البحث في علوم الإعلام و الاتصال:

إن ارتباط ظاهرة الإعلام والاتصال بالنشاطات المتنوعة بالإنسان والمجتمع جعلها موضع العديد من الاهتمامات العلمية أي موزعة على أكثر من تخصص علمي هذا جعل أبحاث الإعلام والاتصال تواجه صعوبات كبيرة تمثلت في الغموض المنهجي والنظري هذا الغموض تسبب في عدم إمكانية تحديد مفهوم علمي لها على نحو يسمح للباحثين من تحديد موضوعاتها بصورة مستقلة وإيجاد المناهج والأدوات الخاصة بها. بالرغم من الصعوبات المشار إليها فإن الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام والاتصال داخل المجتمعات في كل المجالات الحياتية منذ ظهورها حتى الآن هذا الدور الكبير أدى إلى ميلاد وعي متزايد بمشكلات وقضايا الرسائل التي تبثها وسائل الإعلام وتجلى هذا الوعي في شكل اهتمام سلطات الدول بوسائل الاتصال الجماهيري بفعل الدور الكبير الذي تؤديه خاصة على مستوى تكوين الرأي العام وأيضا الترويج السلعي

والخدماتي وهذا ما جعل السلطات العمومية تهتم بها كما تجلى أيضا الإهتمام بوسائل الإعلام والاتصال خلال الخمسينيات من القرن الماضي في تأسيس العديد من المعاهد والكليات ومراكز التدريس والتدريب والبحث المتخصصة في الإعلام والاتصال.

المرسل الذي يقوم بإرسال رسالة ما نحو المستقبل، الذي قد يكون فردا أو جماعة أو جمهور. المستقبل يتلقى الرسالة ويقرر ماذا يعمل بها، قد يحتفظ بها أو يتحول بدوره إلى مرسل لنفس الرسالة –لكن ليس بنفس المحتوى– أو مستجيبا، عن وعي أو عن غير وعي، لما يطلب منه (في حالة الإشهار أو العمل السياسي مثلا). الدراسات تهتم هنا بالخصوص بنية المرسل.

بعض الدراسات:

سوسيولوجيا رجال الاعلام، وسائل الاتصال الجماهيرية، وسائل إنتاجها، قوانين النشر، سلطة ومصداقية مؤسساتها...الخ

- **الرسالة** أي المحتوى الظاهر أو الخفي للاتصال بمختلف أشكاله: المكتوب، المسموع، السمعي–بصري، المصور، الشفوي، الغير شفوي.. كل هذه الأنواع تشكل مادة للدراسات.

بعض الدراسات:

تحليل مضمون الصحافة، البرامج التلفزيونية، نصوص مختلفة، التحليل السيميائي أو الدلالي للإشهار. الإقناع في الإشهار، الدعاية السياسية، استراتيجيات البرمجة وشبكاتها.

المستقبل أي الفرد أو الجماعة أو الجمهور الذي توجه له الرسالة. الدراسات تهتم هنا بأنواع الجمهور ومدى استعماله لوسيلة معينة وكذلك لاستعمال الجمهور لوسائل الاتصال الجماهيرية.

بعض الدراسات:

أثر وسائل الاتصال الجماهيري، الآثار الاجتماعية والثقافية للعنف، للإشهار، الآثار على السلوك، القيم والآراء. فهم النصوص، الرمزية الإشهارية،المعاني المشتركة بين المرسل والمستقبل للرسالة.

-علوم الإعلام دراسات استقرائية أم استنباطية:

سؤال ابستيمولوجي: هل علوم الإعلام هي دراسات استقرائية أم دراسات استنباطية؟

الإجابة عن هدا السؤال يقودنا إلى محاولة تفكيك مختلف الدراسات التي كانت في مجال علوم الإعلام من حيث طريقة بحثها و معرفة إن كانت استقرائية أم استنباطية .

مثال: في دراسات الجمهور على سبيل المثال لا الحصر هناك دراسات استقرائية تمثلت في مختلف الدراسات الامبريقية في الولايات المتحدة الأمريكية و أيضا استنباطية من خلال مثلا دراسة مارشال مكلوهان.

نظرية القذيفة السحرية هي دراسة استقرائية . تنطلق من الميدان .

نظرية الحتمية التكنولوجية هي دراسة استنباطية . تأملية فلسفية.

رغم أن كلاهما يقر بالتأثير المطلق لوسائل الإعلام.

البراديغم السيبرنطيقي

السيبرنتيك كلمة جديدة ظهرت بمعناها الحالي في سنة 1948 عن طريق العالم الأمريكي نوربرت فينر (Weiner Norbert) في كتابه "السيبرنتيك" أو التحكم والاتصالات في الكائن الحي وفي الآلة ". و« أصل هذا اللفظ يوناني (Kubernétiké) ...ومعناه فن الحكم أو التوجيه والإدارة » وكان يقصد بها قيادة الربان للسفينة. واستخدمت هذه الكلمة سابقاً من قبل أفلاطون أثناء محاوراته عن فن قيادة السفينة . ومن أفلاطون غاب استعمال هذا المصطلح إلى غاية بدايات القرن التاسع عشر حيث وظفه العالم الفرنسي ((أندريه ماري أمبير)) في كتابه (مقالات في فلسفة العلوم) واعتبره علم إدارة المجتمعات الذي يهيئ للعالم فرصة الاستمتاع بالعالم.

والسيبرنيتك بمفهومها الحالي هي « العلم الذي يدرس النظريات العامة للتحكم في النظم المختلفة سوا كانت بيولوجية أو تكنولوجية، ويعرف أيضا بأنه علم نقل الإشارات أو علم التحكم الذاتي » فهي المحاكاة المنطقية بين الإنسان ووسطه للتوصل إلى هدف معين ومرسوم يمكن من بذل مجهود أقل للحصول على نتائج أفضل

في كتابه السيبرنتيك حاول فينر تفسير الظواهر الحياتية، والنفسية والنفسيةالحياتية التي لاحظها في الكائن الحي، و محاولة إمكانية إيجاد الشبه بين هذه الكائنات موضوع المراقبة والمفاهيم التي تدور حولها. ولذلك يمكن القول بأن السيبرنتيك يعالج « الصيغ العامة

لخواص الجمل المعلوماتية الطبيعية والصنعية على حد سواء، والعمليات التي تجري في داخلها .

ومما سبق نرى بأن السيبرنتيك هو علم الآلة التي تحاكي الكائن الحي، وعلم كيفية نقل المعلومات بين أعضائه الفكرية والحسية ومحاكاتها عند الآلات التي تقوم بوظائف هذه الأعضاء الفكرية والحسية. فهذا العلم يسعى إلى التقريب بين نظامين للتحكم. لأنه يدرس طريقة تفكير الإنسان وفي الوقت ذاته يدرس مبادئ بناء الأجهزة الآلية. والهدف من ذلك محاولة مكننة العمل الذهني للإنسان بواسطة هذه الأجهزة. والسيبرنيتية تعتمد وبشكل أساسي على نظرية الإعلام التي وضعها الرياضي كلود شانون. لأن «تخزين المعلومات ومعالجة المعلومات وغيرها... ترتبط ارتباطا وثيقا بالسيبرنتيك ولا يمكن إدخالها في أي فرع آخر من فروع العلم » إذ تعتبر معالجة المعلومات وأجهزة معالجة المعلومات من الأدوات الأساسية للسيبرنتيك.

السيبرنيتيك ومفهوم المفعول الرجعي :

إن مفهوم المفعول الرجعي أو التغذية الراجعة (Feedback system) هي عبارة عن معلومات صادرة بناءا على معلومات سابقة أو هي ارتباط بين مدخلات ومخرجات*. إن « استعمال جزءا من الخرج في نظام ما– للتحكم بالدخل يطلق عليه التغذية العكسية أو المرتدة فعندما يتصل الخرج بالدخل نحصل على التغذية المرتدة التي تستعمل لمراقبة أية عملية وضبطها بالشكل اللازم والمطلوب. بشكل آخر فإن التغذية العكسية هي إحدى خصائص نظم التحكم المغلقة التي تسمح للخرج بأن يقارن مع الدخل لكي يتم العمل التحكمي الملائم

المناسب والمطلوب بناء على الإشارة المرسلة أساسا» ونستطيع أن نكتشف مفعولات رجعية في جميع تصرفات الكائنات الحية الحسية منها والنفسية ويمكن أن تكون «حلقة التغذية قد تكون موجبة أو سالبة» وعليه يمكن التمييز بين:

1/ تغذية راجعة سلبية وهي الرد بشكل خطي (liniear) وهي عبارة عن استجابة آلية لمنبه ما، وهدا النوع من الاستجابة موجود في الجيل الأول من الأنظمة السيبرنيطيقية .

2/ التغذية الراجعة الإيجابية وهي لاخطية (nolinear) بمعنى يمكن أن يكون الرد متنوعا فهو رد ذكي يتبدل حسب إمكانات متعددة.

البراديغم السلوكي

بدأت أبحاث العالم الروسي إيفان بافلوف، بدراسة فسيولوجية الجهاز العصبي عند الكلاب، وقد نال بهذا شهرة واسعة في هذا المجال، رشحته لنيل جائزة نوبل، وعلى الرغم من ذياع سيطه في المحافل العلمية، تجاه المجال الفسيولوجي، إلا أن أعظم اكتشافاته كانت في مجال دراسة سلوك الفعل المنعكس الشرطي، حيث كانت أمريكا في تلك الآونة، وخاصة في أوائل القرن العشرين غارقة في استخدام علم النفس الاستبطاني، والاقتصار على دراسة الشعور.

وقد تبين لبافلوف خلال إجراء العديد من التجارب على الكلاب، أن المثير الذي يصاحب تقديم الطعام إلى الكلب، كرؤية الآنية التي يوضع فيها الطعام للكلب.

البراديغم السلوكي و نموذجه المثير الاستجابة مشتقان من علم النفس ففي بداية القرن 20 جاء مفهوم الإنسان النفساني ليضاف الى الإنسان الاجتماعي ليجعل من الفرد كائنا معزولا معرضا و خاضعا للعديد من التاثيرات.

يقتضي نموذج المثير الاستجابة ان تكون لكل مثير استجابة ملائمة و متوقعة و هو صادر عن التجارب المخبرية على الحيوانات و قد تم إسقاطه و تطبيقه على السلوك الانساني الذي اعتبر انه يستجيب الى سلسلة من الاليات البيولوجية تولد عن هدا النموذج البراديغم السلوكي الذي استعمل و مزال يستعمل في دراسة تاثير وسائل الإعلام. وقد اعتبرت هذه الوسائل كمثيرات قوية جدا في مواجهة افراد ضعفاء جدا بمعنى انهم مجرد متلقين قابلين للاختراق .

تحول السؤال فيما بعد من ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور ؟ إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ في البراديغم الوظيفي.

نموذج الدراسة:

تاثير وسائل الاعلام على الناس.

تاثير الدعاية.

تاثير الاشهار

الاقناع....الخ

نموذج للبراديغم السلوكي في علوم الاعلام و الاتصال:

نظرية القذيفة السحرية: Magic Bullet Theory كمثال

البراديغم الوظيفي

لقد شكل المذهب الوضعي (Positivisme) الذي وضعه الفرنسي أوغست كونت (August Conte)أحد الجذور الفكرية للبنائية الوظيفية حيث أخذت عنه معطى التوازن بين مختلف الأجزاء المكونة للاجتماعي.

وإلى جانب الفلسفة الوضعية التي تتعامل مع البنى الاجتماعية بوصفها «أشياء»، نجد رافد

الاتجاه العضوي la perspective) (organiqueالمؤسس على أبحاث تشارلز داروين (Charles darwin)وأيضا هربرت سبنسر وغيرهما، الذي يصوّر المجتمع أي – الرافد العضوي– باعتباره « كائنا عضويا حيا، يتكون من مجموعة من الأجزاء التي يؤدي كل منها وظيفة لصالح بقاء الكل واستمراره حيا»، بمعنى أن التفسير البيولوجي مُهيمن على كيفية تصوّر المجتمع والبعد الوظيفي لأعضائه .

•حصل تحول عميق في تقييم تأثير وسائل الاتصال خلال الحرب العالمية الثانية (الأربعينيات):

•فمن الاعتقاد بالتأثير اللامحدود للاتصال مع نظرية الرصاصة و الحقنة تحت الجلدية

•تبلورت في **الأربعينيات من ق 20** نظريات تقول أن الاتصال الجماهيري لا يمثل تلك القوة الخارقة

•و أن المتلقي ليس ذلك الكائن الضعيف و المغلوب على أمره الذي يستقبل الرسالة و ينفذ ما يرد فيها.

•**<u>البراديغيم التأويلي:</u>**

•من المعلوم أنّ الدراسات الأدبية كانت في مرحلتها الأولى منصبّة أساسا على عنصر المؤلف لما له من أهمية قصوى في تفسير النصوص والأعمال الأدبية. وهكذا شكل المؤلف قطب نقطة تقاطع مجموعة من الدراسات والمقاربات ذات المنحى السياقي "النفسي والاجتماعي والتاريخي"، حتى ترسّخ في الأذهان ما يمكن تسميته بـ: "سلطة المؤلف"

•ماّ المرحلة الثانية، فقد عرفت تحولاً في المسار النقدي في اتجاه ترسيخ سلطة أخرى على غرار سلطة المؤلف وهي"سلطة النص"، حيث كان الإعلان عن موت المؤلف من قبل أقطاب البنيوية.

•أماّ المرحلة الثالثة، فعرفت فيها الدراسات الأدبية تحولا نوعيا في اتجاه ارساء دعائم التأويل من خلال الاهتمام بدور التلقي الذي أصبح جزءا لا يتجزأ من كل عملية

تأويل، ونال القارئ فيها حقه، حين أصبح النص يتوجه إليه ، باعتباره الموجود الوحيد والحكم الفصل وهو الكاتب الجديد للنص والمفترض دائما.

•يقوم هنا البراديغيم التأويلي على دراسة المعاني و الدلالات حيث ان الافراد يعطون معنى للعالم عبر تصرفاتهم الاتصالية من سلوكات و رموز كلمات الخ... و بهذا التأويلات تقع في الافعال الاجتماعية، فالتنظيم هو ليس بناء موضوعي كما ترى الوظيفية بل بناء لمجموعة من المعاني، و الاتصال ليس رسائل عبر التبادل و الشبكات بل عنصر يبني التاريخ و الاساطير و الطقوس داخل التنظيمات اذن البراديغيم التأويلي رمزي و ليس حتمي كالوظيفي.

• التفاعل الاجتماعي يولد المعاني و المعاني تشكل عالمنا، مثال ورقة هي ورقة الاّ ان في حياتنا اليومية الدور الذي تلعبه الورقة في عملية تفاعلنا أي التي نكتب عليها التي نرسم فيها .... الخ.